الباب السابع

حول المستقبل

مع مظاهرات الطلاب في الخرطوم ضد الحكومة، توقعوا أن يرفع لوبي الحركة الشعبية في واشنطن شعار تغيير النظام، وشعار تسليح الحركات المتمردة في السودان وتتمتع الحركة الشعبية بتأييد الحزبين الجمهوري والديمقراطي .

وربما لن يقل التأييد الأمريكي لجنوب السودان، إن لم يزد لكن، هناك غير أمريكيين فقدوا الأمل في جنوب السودان منهم، جيرار برونييه، الخبير الفرنسي الذي استقال كمستشار لحكومة جنوب السودان وقال: لا أريد أن أكون مذنباً بصلتي بهؤلاء هؤلاء بلهاء، إنهم فاسدون حتى النخاع وأخيراً، إذا كانت الحكومة الأمريكية تأمل في إنقاذ جنوب السودان ، يجب أن تتخلي عن أخلاقيات إقناع نفسها، ويجب أن توقف الضرر الذي يسببه جنوب السودان، قبل فوات الأوان.

سيناريوهات ما بعد انفصال جنوب السودان

الجميعُ يعرف نتيجة استفتاء الجنوب السوداني قبلَ إجرائه بسنوات، والاستفتاءَ ما هو إلا شكل مِن أشكال البروتوكول الدولي لإضفاءِ الشرعيَّة الدوليَّة لتدخل القُوَى الاستعمارية في السودان، بعد أنْ وقفتْ سنوات طويلة على أعتابه، حيث إنَّ المعالم والأهداف مُحدَّدة كما قلنا، ولكن الحوار الأهم الآن هو ما بعدَ الانفصال وبداية التطبيق العَلَني وظهور القُوى الأجنبيَّة الخفيَّة في الجنوب إلى النور، التي كانتْ تلعب

دورَها خلف السِّتار لتتحدَّثَ عن الحدود والنفط ونِظام الحُكم، ورغم كلِّ المؤامرات والترتيبات والضغوط على السودان، إلاَّ أنَّ الواقِع يُشير إلى سيناريوهات حالِكة السواد في الجنوبِ، نراها واضحة وجلية وبقراءةٍ سريعةٍ للحوار الذي أجرتْه إحدى القنوات العربية مع الرئيس السوداني عُمرَ البشير، الذي بدَا فيه هادئًا، وتحدَّث عن دولة جنوب السودان رغمَ أنَّ الاستفتاء لم يتمَّ بعدُ، وأوضح الكثير مِن العَقبات التي ستواجه دولة الجنوب العرجاء بصورةٍ غير مباشرة، والتي قد تخلق ثورةً داخليَّة ضدَّ حكومة الجنوب،وتكون هناك معارضة كبيرة داعية للعودة للشَّمال، خصوصاً أنَّ ترسيم الحدود ليس سهلاً؛ نظرًا لجغرافية تلك المنطقة والقارَّة السوداء،عموماً فالسودان الموحَّدَّ لم يرسمْ حدوده إلاَّ مِن عام فقط هذا علاوة على منطقة النفط آبيى، والتي يسكنها غالبية مِن العرب، علاوة على ذلك فمِن المتوقع أن تحدُث صراعات داخلية على الحُكم إذا استأثرت الحركةُ الشعبية بنصيبِ الأسد،خصوصًا أنَّها عجزتْ عن توفير أدْنَى سبل العيش والخِدْمات خلالَ فترة حُكْمها رغمَ التدفُّقات الماليَّة الدوليَّة، التي لعِبتْ دورًا في تشجيع الجنوبيِّين على الانفصال ولذلك فإنَّ هناك العديدَ مِن السيناريوهات في المرحلة المقبلة، نبدأ بأكثرها قوَّةً على أرض الواقِع، والذي يركِّز على الجنوب بشكلٍ كبير، خصوصاً أنَّ حكومة الشمال لن تزجَّ بنفسها بشكلٍ مباشِر في صراع عسكري مرَّةً أخرى مع الجنوب.

ويَرْتكز هذا السيناريو على افتقار حكومة الجنوب إلى القُدْرَة عَلَى تقديم الخِدمات اللازمة والتوزيع العادِل للموارد الأساسيَّة؛ مِثل: الطُّرق والمياه والغذاء، كما أنَّها تنفق الجزء الأكبر من عائدات النفط على أمْنها العسكري في محاولة للحفاظ على النِّظام، وتوفير رادع ضدَّ الشمال؛ لذلك يمكن القول: إنَّ الفساد في ارتفاع؛ لذلك فقبول الوضع الراهن غيرُ مستدام لفترة طويلة بعدَ الاستفتاء.

ويرَى هذا السيناريو أنَّ الانفصال إذا حدَث سيكون مكلِّفًا للجنوب؛ وذلك لاختلالاتٍ أساسيَّة في أسلوب ونمَط الحُكم في جنوبِ السودان ولفشله في مخاطبة القضايا الأساسيَّة للمواطنين، وفشَل الحرَكة في تأسيس نمط حُكمٍ يحظى بصدق ووضوح في ظلِّ ضعْف قدرتها على نزْع السلاح من المليشيات، واحتمالات انتقال العُنف الراهِن من جنوب كردفان إلى جنوبِ السودان، وكذلك عدم قُدْرَة الحَرَكة على تنزيل السُّلُطاتِ الإدارية إلى مستوياتِ الحُكم الأدْنَى.

وإذا لم تتغيَّرْ طريقةُ ونمط الحُكم الراهِنة في الجنوب، فإنَّه سينحدر إلى دوَّامة مِن العُنف، حتى إذا لم يتعرَّضْ إلى عدوان عسكري مِن الشَّمال أو انخفاض نِسبة تدفُّقات المساعدات والدَّعْم الدولي الحالي.

وقد يمكن تجنُّب هذه الدوَّامة إذا استطاع الجنوب أن يُحسن بشكل كبير مِن قُدرته على تقديم الخِدمات على المستوى المحلِّي، ولكن هذا ليس مِن المرجَّح أن يحدُث دون ما يلي:

• حل القضايا العالِقة لمنْع إنتاج مناخ الأزمة بين الشَّمال والجنوب عَقِبَ الاستفتاء، خاصَّة في قضايا النفط .

• إذا رفع الغَرْبُ التمثيلَ الدبلوماسي مع الجنوب لتعزيز الثِّقة معه ، ومغازلة الشَّمال بمراجعةِ منظومة العقوبات الاقتصاديَّة ؛ مِن أجْل تشجيعه على التعاون مع الجنوب لحلِّ هذه القضايا .

• العامل الأهم هو المحافظةُ على وَحْدةِ الحركة وقيادتها مِن الاختلاف والتناحُر والتشرذُم ، وهو ما يُتوقَّع حدوثُه بشكلٍ كبير نتيجة القَبَليَّة .

جنوب كردفان المحطة الثانية في نيفاشا

أحمد عبدالوهاب

تتكشَّف ما بين لحظة وأخرى المخططات المرسومة مسبقًا، والتي وقَّع عليها النظام الحاكم في السودان في نيفاشا عام ٢٠٠٥، وبقراءة يسيرة ومتأنِّية لتلك الاتفاقية، نجد أنها وَضَعت اللمسات النهائية للقضاء على سودان موحَّد بموافقة النظام السوداني، وليس بموافقة الشعب السوداني الذي يرفض أيَّ تقسيم لهذا القُطر العريق، ولكن الكراسي الزائلة أهمُّ من الأمم الباقية، لقد أهدى النظام السوداني إلى الغرب في بضع سنوات ما عجَز الاستعمار عن فعْله في عدة عقود، فقد رحَل الجنوب السوداني، وها هي الحرب تشتعل بين الشمال والجنوب، وقبل أن يكتمل الانفصال، فالخُطة واضحة، الجنوب أولاً وقبل أن يلتقِط الشمال أنفاسه، تشتعل أبيي وفي نفس التوقيت جنوب كردفان، وجبال النوبة،

والنيل الأزرق، ودارفور مشتعلة ولقد تَمَّ تنفيذ المخطط الغربي الصِّهْيَوني كما هو، واشتعَلَت الحرب بين الشمال والجنوب في أبيي، والأمر لا يحتاج إلى تحليل، فاشتعال الحرب يَعني تدخُّلاً دوليًّا لإنقاذ الموقف، والحالات الإنسانية، وبعثات أُمَميَّة، وزَرع الفتن، والبحث عن اتفاقات إذعان جديدة لتَهدئة الوضع، وهو ما حدَث ،حيث أعْلَنَت الأمم المتحدة عن التوصُّل لاتِّفاق لوقف إطلاق النار في أبيي، يَنُص على نزْع سلاح المدينة النفطيَّة، وجعْلها تحت سيادة دولية، وبذلك يخرج الشمال وتتولَّى الأمم المتحدة تلك الحماية، ولا يَخفى علينا ما يحدث في جنوب كردفان، وقيام الولايات المتحدة بتسريب معلومات لإشعال الفتنة؛ حيث ذكَرت أنَّ هناك تكديسًا للأسلحة من جانب حكومة الخرطوم؛ للقضاء على التمرُّد في جنوب كردفان، في الوقت الذي قامَت فيه بتغذية الحركات الموالية لها بالسلاح والعَتاد، ونفَّذت نفس السيناريو الذي تَمَّ في أبيي، وتَمَّ استدراج جيش الخرطوم للحرب في كردفان، وتعالَت الصيحات المطالبة بممرات إنسانيَّة، وضرورة التدخُّل الدولي لوقف الحرب، وسيكون الخاسر في النهاية هو السودان العربي المسلم، بل والأمة، وسيصل الأمر قريبًا - وَفقًا لاتِّفاقات نيفاشا ٢٠٠٥، التي وقَّعتها حكومة البشير - إلى استفتاء تقرير المصير الذي سينتهي بالانفصال، وهذا ليس من باب التخمين أو عِلْم الغيب، بل من واقع الاتفاقيَّة التي تَمَّ تنفيذ أحد بنودها في الجنوب، عن طريق صياغة

ملتوية بإخراج الشماليين من أي استفتاء لتقرير المصير، وهو ما يرجِّح كِفَّة الانفصال في كلِّ منطقة يُجْرى فيها الاستفتاء.

في هذا الوقت أعْلَن الجيش السوداني أنة لا يحقُّ لأي جهة عدا حكومة السودان، أن يكون لها وجود عسكري في جنوب كردفان، وأنها لن تَسمح لأي جهة بزعزعة الأمن والاستقرار في الولاية، وهذا الأمر يعني أنَّ الترتيبات الأمنيَّة التي يتم الحديث عنها بخصوص المناطق الثلاثة :أبيي - جنوب كردفان - النيل الأزرق، ستواجه عقبات كبيرة، بل إنَّ الشرارة قد اشْتَعَلت بالفعل وأرادت حكومة الشمال بما فعَلته في أبيي أن تُعطي بطاقة صفراء لكلِّ مَن تُسوِّل له نفسه فعْلَ نفس الشيء في كردفان.

لكنَّ المشكلة التي يجب أن نتحدَّث عنها هل انتصَر السلاح في السودان، والواقع يؤكِّد أن السلاح كان السبب في خسائر كبيرة، أوَّلُها ضياع الجنوب السوداني، واستعداء جنوب كردفان ودارفور، فالأمر كان يتطلَّب نوعًا من الحِكمة والإصلاحات الدستورية والسياسية؛ لمعالجة الأوضاع، ومنْع المزيد من التمزُّق في الجسد السوداني، إلى جانب ذلك فإنَّ المتمردين في جنوب كردفان يرفعون شعار الشعب يريد إسقاط النظام؛ لتحقيق التغيير الجذري في المركز، ومن أجْل إزالة كافة أشكال التهميش في مختلف صورها؛ سواء كان تهميشًا سياسيًّا، أم اقتصاديًّا، أم اجتماعيًّا، أم ثقافيًّا، أم دينيًّا.

ولَم تكن الولايات المتحدة بعيدة عن الوضع المشتعل إنْ لَم تكن هي الشرارة التي أشْعَلَت الموقف؛ كما سبَق أن أوْرَدنا وها هي اليوم تحذّر حكومة الخرطوم من أنها ستوقف التطبيع، وتزيد من عزلة الخرطوم إذا أخْفقت في وقف العُنف المتصاعد في ولاية جنوب كردفان المحاذية لجنوب السودان،وقال المتحدِّث باسم الخارجيَّة الأمريكية مارك تونر :إنه إذا اختار السودان مواصلة تصعيد الأوضاع، واتِّباع الحل العسكري لإنهاء قضية أبيي وجنوب كردفان، فإن بلاده لن تمضي قُدمًا في خريطة طريق تطبيع العلاقات بين البلدين، وسيواجه السودان مزيدًا من العُزلة الدوليَّة.

وبموازاة الموقف الأمريكي عَبَّرت الحكومة البريطانية عن قلقها وصَدمتها من تصاعُد العنف في وسط السودان، وحذَّرت الكنيسة الأنجليكانية من احتمال ظهور دارفور أخرى في جنوب كردفان، وأعْلَن زعيم الكنيسة الأنجليكانية وأسقف كانتربري روان وليامز أن التوتُّر في جنوب كردفان يهدِّد بتحويل الوضع إلى دارفور أخرى، وطالَب في بيان بتحرُّك دولي؛ لحماية الأقليَّات غير العربية التي تضمُّ مسيحيين، ومضَى إلى القول: إنَّ الكنيسة الأنجليكانية في كادوقلي أُحْرقت، وهنالك تقارير عن عمليات قتْلٍ، واعْتَبَر أنَّ اليقظة الدولية ضرورية تُجاه ما يحصل، وحثَّ كلاً من حكومة بلاده ومجلس الأمن، والاتحاد الأوروبي، والجامعة

العربية، والاتحاد الأفريقي على ضمان الأمن والمساعدة الإنسانيَّة للمواطنين.

فالوضع الذي حدَث قبل انفصال الجنوب السوداني، يحدث الآن في جنوب كردفان، تصعيد دولي وشعبي؛ لتكوين صورة مُسبقة يَسهل معها المطالبة بالانفصال؛ لذا على حكومة الخرطوم أن تتَّخذ من الإجراءات والإصلاحات ما يقطع الطريق على تلك المؤامرات؛ حتى لا نأتي بعد عدة أشهر ونُقيم سُرادق العزاء على جنوب كردفان والنيل الأزرق، وقد يَلحق بهم أو يسبقهم إقليم دارفور، وعلينا بعد ذلك أن نتعامَلَ مع ما يَقرب من سبع دول ناتجة عن السودان القديم.

فعلى حكومة الخرطوم أن تبذلَ ما في وُسعها، وأن تستفيدَ من خبرات دول الجوار، من أجْل مبادرات محليَّة لمعالجة الأوضاع.

مستقبل الصراع والهوية

يُدرك السودانيون جميعًا - جنوبيون وشماليون - أنَّ الاهتمام الغربي المتزايد بإجراء الاستفتاء على انفصال الجنوب في موعده بحسب الاتفاق الموقَّع بين شَريكي الحُكم في السودان عام ٢٠٠٥ لا ينبع من الرغبة الغربيَّة في الاستجابة للتطلُّعات الشعبيَّة في البلاد، وإنما هو أحدُ وسائل هذا المخَطَّط الغربي الذي لا يَستهدف بالدرجة الأولى إلا تحقيقَ مَصالحِه الخاصَّة، حتى ولو كان هذا بما يَتناقض ويَتعارَض مع المصالِح الكُبْرى والدائِمة لهذه الشُّعوب فالجنوبُ السوداني بما يَمتلك مِن ثروات

هائلة أصبحَ مَطْمعًا للقُوَى العالميَّة التي ظلَّ العالَمُ الفقير ولأكثر من قرْنٍ كامل ساحةَ صراع لأطرافه المتناحِرة التي لا تتوحَّد على شيءٍ قدْرَ توحُّدها على نَهْب ثروات هذا العالم الفقير؛ ليبقى أبناؤه فقراءَ كادحين، ولينعم الآخرون بالرَّخاء والرفاهية.

المصادر والمراجع

١- القرار السياسي في السودان - الخير عمر أحمد سليمان .

٢- تجربتي في السياسة السودانية- عز الدين السيد .

٣- العسكريون والحكم في أفريقيا - د. حمدي عبدالرحمن حسن

٤- تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠- ١٩٦٩م - البروفيسور محمد عمر بشير.

٥- إشكالية انتقال السلطة في أفريقيا- امباي لو .

٦- الحركة الإسلامية في السودان - تجربة الحكم والانقسام في ٢٠٠٠م - سلمى حسن العطا.

٧- الثورة والإصلاح السياسي في السودان - عبدالوهاب الأفندي

٨- العد العكسي للأزمة والمواجهة النووية المقبلة مع إيران - كينث آر . تيرمان .

٩- الحدود السياسية وواقع الدولة في أفريقيا - محمد عاشور مهدي.

١٠- جون قرنق ورؤيته للسودان الجديد وإعادة بناء الدولة السودانية - الواثق كمير.

١١- مقالات في السياسة السودانية - البروفيسور الطيب زين العابدين.

١٢- الأبعاد الفكرية والسياسية للحركة الشعبية لتحرير السودان ١٩٨٣-٢٠٠٠م - إبراهيم محمد آدم .

١٣- مشروع تنصير السودان في الماضي والحاضر- د. حسن مكي.

١٤- التنوع العرقي والسياسة الخارجية، د. محجوب الباشا.
١٥- مشكلة جنوب السودان - الدكتور محمد عمر بشير.
١٦- السودان في عهد الحكم الثنائي - لبيب رزق.
١٧- مشكلة جنوب السودان طبيعتها وتطورها – د٠ مدثر عبد الرحيم٠
١٨- الديمقراطية في الميزان - للوزير محمد أحمد المحجوب٠
١٩- بعض المقالات المنشورة فى بعض الصحف والمجلات (مجلة دراسات استراتيجية- مجلة دراسات أفريقية - صحيفة الرأي العام – مجلة الوعى- صحيفة الشرق الأوسط - مجلة الحرية- أفريقيا اليوم- أخبار البشر- مجلة البيان، مجلة السياسة الدولية- مجلة الإستراتيجية والأمن الوطني- مجلة نهر العلم- المستقبل العربي- صحيفة السوداني)
٢٠- دور الحرب والسلام في جنوب السودان- عبد الوهاب محمد بكري
٢١- مشكلة جنوب السودان: خلفية النزاع.
٢٢- ديفيد بسيوني هو أحد أبرز منسقي علاقات الحركة مع إسرائيل والبيت الأبيض، وهو ابن يهودي سوداني تزوج من إقليم أعالي النيل الجنوبي، وعمل وزيراً في حكومة الجنوب في عهد مايو، ثم هاجر إلى إسرائيل بعد إعلان تطبيق الشريعة.
٢٣- جنوب السودان آفاق تحديات- جون قاي تون يوه
٢٤- منطقة أبيي - الجزيرة نت ٢٠٠٨/٢/٢٠

٢٥- خارطة طريق أبيي - منظمة هيومن رايتس ووتش ٢١ يوليو ٢٠٠٨

٢٦- أبيي تشعل الحرب بين شمال وجنوب السودان وتضر مصر- جمال عرفة

٢٧- موقع المسلم ١٤٣٢/٦/١٩

٢٨- الصراع في جنوبي السودان..تطور الأحداث ٢٠٠٧-٢٠٠٨ عن موسوعة مقاتل من الصحراء.

٢٩- دولة جنوب السودان - تحديات الداخل أخطر – عصام بدران ٠

٣٠- جنوب السودان والمخططات الصهيوأمريكية - أيمن بريك ٠

٣١- لسان العرب- إبن منظور٠

٣٢- الحدود السياسية وواقع الدولة في أفريقيا - محمد عاشور مهدي .

٣٣- الجغرافيا السياسية منظر معاصر - محمد محمود إبراهيم الديب.

٣٤- الجغرافيا السياسية المعاصرة - محمد زاهر سعيد السماك.

٣٥- قبائل السودان نموذج التمازج والتعايش - أحمد عبدالله آدم.

٣٦- تسوية النزاعات في السودان- بهاء الدين مكاوي محمد قيلي.

٣٧- مقومات بناء الدولة في أفريقيا- حمد عمر حاوي .

٣٨- تقرير مساحات ولايات السودان - صلاح السيد ٠

٣٩- واقع الحدود السياسية بين شمال وجنوب السودان بعد الإستفتاء- أسامة علي زين العابدين٠

٤٠- الإندماج الوطني في أفريقيا والخيار السوداني- إبراهيم محمد نصر الدين.

٤١- البعد الديني لقضية جنوب السودان -عبداللطيف البوني٠

٤٢- أتفاقية نيفاشا- كينيا.

٤٣- دستور جمهورية السودان الإنتقالي لسنة ٢٠٠٥م.

٤٤- السودان الشمالي وقبائله- محمد عوض محمد.

٤٥- جنوب السودان- دراسة لأسباب النزاع - محمد عمر بشير - ترجمة أسعد حليم .

٤٦- جامعة الدول العربية ومنازعات الحدود العربية -عمر عز الرجال.

٤٧- الفوائد الصهيونية من إقامة دولة جنوب السودان-عدنان أبوعامر

٤٨- جراهام ايفانز وجيفري نوينهام – قاموس بنجوين للعلاقات الدولية

٤٩- مستقبل التواصل مع دولة جنوب السودان - السماني النصري محمد أحمد.

٥٠- مستقبل السودان بعد الإنفصال- مدثر أحمد إسماعيل.

٥١- محفزات ومهددات العلاقة بين السودان ودولة جنوب السودان- المعتصم أحمد علي الأمين

٥٢- إنعكاس قيام دولة الجنوب على الوضع في السودان إجلال رأفت

٥٣- امكانية تحقيق التكامل الاقتصادي بين السودان وجنوب السودان – حسن بشير محمد نور.

٥٤- الأسس الإستراتيجية لعلاقات السودان بدولة جنوب السودان – عبد الرحمن أحمد عثمان .

٥٥- إسرائيل والصراع الإستراتيجي في القرن الأفريقي – المعز فاروق محمد أحمد

٥٦- الأمن المائي السوداني – سيف الدين يوسف محمد سعيد

٥٧- التفاهم حول تقسيم نفط السودان بين الشمال والجنوب هو الحل

٥٨- الصراع على النفط بين الشمال والجنوب – خالد حسين محمد

٥٩- الخرطوم وجوبا، النفط صراع المصالح - هنادي النور

٦٠- مقومات ومعوقات التكامل الاقتصادي بين مصر والسودان – عبد الحافظ الصاوي.